جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة : www.muthuruk.com
BM-Publisher

موقف الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) من الفتوحات الاسلامية

حيدر مجيد حسين العليلي *
جامعة المثنى /كلية التربية للعلوم الانسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:
الاستلام: 2018/8/27
تاريخ التعديل : 2018/9/17
قبول النشر: 2018 /9/24
متوفر على النت:2019/5/28

الكلمات المفتاحية :
موقف الامام علي
الفتوحات الاسلامية

الملخص

يسلط هذا البحث الضوء على موقف الامام علي بن ابي طالب (ع) من الفتوحات الاسلامية او المعارك التي تمدد بها المسلمون خارج شبه الجزيرة العربية بعد موت النبي (ص) في عصر الخلافة الراشدة(11-41هـ/ 632 م- 661م) وقد اسسنا اغلب مضامين هذا الموقف على نصوص مستقاة من كتاب نهج البلاغة ؛زيادة على ما جاءت به المصادر التاريخية في سيرة الامام علي (ع)، وقد اقتضت الدراسة ان نقدم لأثر الارث النصي في مشروعية التمدد العسكري في خطاب عصر ما بعد النبي (ص)،ومن ثم اشرنا الى موقف الامام علي (ع)من الاحداث التي تلت موت النبي (ص) التي وسمناها بالاعتزال والموضوعية، ومن ثم بينا اثر الفتوحات والصورة النفسية للعرب في رؤية الامام علي (ع) ومن ثم اشرنا الى دوره الأيديولوجي الذي ظهر لنا بانه على ثلاث مبتنيات مفاهيمية : (المشورة – التخطيط – التوجيه عن بعد) ،من ثم اشرنا في عجالة الى سياسته المباشرة من الفتوحات ابان خلافته ،وقد عولنا في هذا البحث على جملة المصادر التي نقلت مقولات الامام علي (ع) في هذا الصدد وبعض الروايات التي لها صله بدوره في هذه الفتوحات ومن ثم قمنا بتحليلها وتقييمها التي سيجد القارئ قائمة بها في نهاية البحث.

، وقد خلصنا من خلال هذا البحث الى ان الامام علي (ع)لم يقف مكتوف الايدي ازاء تداعيات الاحداث اللاحقة ، واثر على نفسه الا ان يضطلع بدور يضفي عنصر التوازن على الاحداث للحفاظ على هوية النبوة الرسالية من التحول الى صورة الدولة التوسعية وضمان نشر المبادئ الاخلاقية في المناطق المفتوحة من خلال زج اصحابه في هذه المعارك، و تقديم الدعم المشورة التي تكفل تحقيق الاهداف بأدنى الخسائر البشرية، والحيلولة دون وقوع هجوم مضاد في حالة اندحار الجماعة.

© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2019

الارث النصي في مشروعية التمدد العسكري في خطاب عصر ما بعد النبي (ص)

ان التساؤل الذي تتمحور حوله هذه الدراسة ؟ هل كان الامام علي بن ابي طالب (ع) مؤيدا للفتوحات ؟ ام كان رافضا لها ؟

ان الخوض في اتون هذا الموضوع يلزمنا التعرض اولا لمشروعية الفتوحات وتفكيك حيثيات الخطاب المتداول يومذاك، والتعرض لأسباب نشوبها لبيان موقف الامام علي منها.

لعل الاتصال العسكري بين المسلمين والاقوام المحيطة بارض الاسلام ظهر في عهد الرسول (ص) وتشكل في عدة صور ،فجاءت الصورة المبكرة من رسم القران الكريم في مخيال مسلمي عصر الرسالة في سورة الروم التي نزلت في المرحلة المكية[1] في تحديد ملامح النصر والهزيمة لصراع قوتين عالميتين يومذاك(الدولة الساسانية-الدولة

*الناشر الرئيسي : E-mail : Haider@gmail.com

البيزنطية) اللتان يتسوران حكومة الاسلام الناشئة جغرافياً، ويخال لنا ان القران الكريم نبه مبكرا لتباين موازين القوة الذي سيكون جزءا من المرحلة اللاحقة ، والا ما هو وجه الصلة بين مجموعه من البدو المحدثين في اعتناق دين جديد و صراع قوى ليس لهم منه أي مجال في المكافئة؟

اما الصورة الثانية فقد رسمتها المرحلة (الرسالية) المتمثلة برسائل النبي (ص)الى حكومات العالم القديم فارس وبيزنطة والاسكندرية والحبشة وعمان .. [2]،التي حوت عبارة "اسلم تسلم "[3]ولعل هذه العبارة فسرت على انها تحمل دلالة انذارية من قبل كسرى ملك الفرس فقام بتمزيق رسالة النبي(ص) [4]،على الرغم من ان خطاب النبي(ص) كان ينطوي على روح السلام والتذكير والعظة التاريخية بعاقبة الاقوام السابقة[5].

ولما بلغ الرسول ما جرى من امر كسرى دعا عليه بقوله :"مزق الله ملكه"[6]، ولعل رد فعل النبي لم يكن ردا انفعاليا انيا يحمل صبغة حماسية ثأرية بل كان ردا فعل اعتباري بدعائه لطمس سلطان كسرى ، ولعل هذا من شانه ان يترك في عقلية الجماعة يوم ذاك اشارة الى ان النبي كان يحمل نظرة إزاحية لملك كسرى، هذه الصورة التي تشربت في مخيال الصحابة الذين فرضت عليهم ظروف المعارضة ان يتحولوا الى جماعة في حالة نفير عام بفعل حالة الدفاع المستمر التي بلغت 27 غزوة و 63 سرية خلال 12 سنة [7].

ويبدو ان الروحية القتالية التي تمخضت عنها نتائج المعارك وعلى حياة النبي (ص) عززت الصورة الجهادية الحماسية للمسلم الذي يحمل السيف اما ردا للظلم أو دفاعا عن النفس في المرحلة الاولى، لكن هذه الصورة سرعان ما تغيرت بعد ان لمس الفاتحون نشوة الظفر ووفرة غنائم المناطق المفتوحة من النفائس والعبيد والاراضي .

ولاتفوتنا الاشارة الى الصورة الصدامية المباشرة التي رسمتها احداث غزوتي مؤتة سنة 8هـ/629م وتبوك سنة 9هـ/630م مع الروم وحلفائهم [8]، ولعل صيغة الامر التي حملتها الآية الكريمة في قوله تعالى:" **قَاتِلُوا** الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"[9] التي قرن فيها القران بين (القتال)و(الجزية)،زيادة على الترفع الاعتباري بصيغة(وهم صاغرون)[10] لوحت بمشروعية الحرب ولاسيما ان هذه الآية وردت بين نصوص سورة التوبة الانذارية، وعلى الرغم من ذلك فان القران الكريم لم يحمل بين دفتيه أي نص يسوغ الانسياح في اراضي الاخرين فالنبي(ص) لم يؤسس نظاما امبراطوريا،ولعل سياسة النبي (ص) في مصادرة اراضي اليهود وتقسيمها بعد ان نكث اليهود مواثيقهم صورة اخرى تؤسس لمشروعية التمدد في اراضي اهل الكتاب ، وقد لمسنا اشارات نسبت الى النبي حول هذه الفتوحات كقوله :" وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتُفْتَحَنَّ عَلَيْكُمْ فَارِسٌ وَالرُّومُ حَتَّى يَكْثُرَ الطَّعَامُ فَلَا يُذْكَرُ عَلَيْهِ اسْمُ اللهِ "[11].

لقد حوت متون كتب السير بين طياتها اشارات مباشرة الى ان النبي (ص) قد وعد اصحابه بان الله سيورثهم كنوز كسرى وقيصر ويبدو ان هذه المقالة قد اعطت للمنافقين مساحة للتهكم والتكذيب ، فقد ورد في احداث غزوة الخندق سنة 5هـ حين تمكن الخوف من النفوس واطبقت العرب على المدينة تحاصرها وكان الخندق الفيصل الذي يمنع سيوف الاحزاب عن رقاب اهل المدينة ،فاردف احد المرجفين قوله:" يَعِدُنَا مُحَمَّدٌ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا لا يَأْمَنُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى

DOI:10.18018/URUK/019-12/884-898

حَاجَتِهِ "[12] ،فنزل قوله تعالى:" وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً"[13].

وقد افرد الشامي بابا كاملا جمع فيه الاحاديث بإسنادها اخبر فيها النبي(ص) بهلاك كسرى وقيصر، وإنفاق كنوزهما، وأنه لا يكون بعدهما كسرى ولا قيصر فكان قوله (ص):"إذا هلك كسرى، فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر، فلا قيصر بعده، وقوله: "لتفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى التي في القصر الأبيض"، وقوله :«أبشروا، فو الله، لأنا من كثرة الشيء أخوف عليكم من قلته، والله، لا يزال هذا الأمر فيكم حتى تفتح لكم أرض فارس والروم وأرض حمير، وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة: جندا بالشام، وجندا بالعراق، وجندا باليمن، وحتى يعطى الرجل المائة دينار فيتسخطها»[14].

ونخال ان هذا النوع من الروايات يحملنا بعد مطالعة جزئياته الى الظن بانها مركبة لإضفاء صفه المشروعية لهذه المعارك وان كان قد ورد عن النبي مثل هذا النوع من الروايات فلا يخلو هذا الارث من المبالغة لاشتمالها على اشارات ميدانية.

وفي رواية اخرى ان رجلا من كندة دخل على العباس إذ خرج رجل من خبأ قريب منه إذ نظر إلى السماء فلما رآها مالت قام يصلي، ثم خرجت امرأة، فقامت تصلي خلفه، ثم خرج غلام فقام معه يصلي، فقلت للعباس: ما هذا؟ قال: محمد بن أخي، وامرأته خديجة، وابن عمه علي، يزعم أنه نبي، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه، و يزعم أنه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر[15].

وكان المكيون المستهزئين إذا رأوا المسلمين يتهكمون بقولهم :" قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون كسرى وقيصر، أي لأن الصحابة كانوا متقشفين، ثيابهم رثة، وعيشهم خشن"[16] ، ونخال ان هذا النوع من الروايات يعطي مشروعية لكل ما جرى من اعمال عسكرية لاحقة ، على الرغم ان النبي (ص)لم يتبنى أي سياسة ازاحية توسعية في عهده ولم يرد في أي مصدر تاريخي ان الرسول قد وضع خططا لإسقاط البيزنطيين والفرس، ولعل المتتبع لغزوات وسرايا النبي يلمس انها جميعها كانت حروبا دفاعية ،وبالتالي فان النهج الهجومي للخلفاء الراشدين جاء متعارضا مع النهج العسكري الدفاعي للنبي، بالتالي ان تغير المنهج السياسي من استراتيجية (الدفاع -المهادنة) في عصر النبي الى استراتيجية(الهجوم - الاجتياح) في عصر الخلافة يطرح علامة استفهام خطيرة ؟

واذا ركنا الى صحة هذا النوع من النصوص التي اشارت الى زوال ملك كسرى وقيصر فإننا نرى انها جاءت جزءا من نظرية استشرافية تنبئية غير تبريرية، عن اخبار مستقبلية اخبر النبي (ص) بحدوثها من بعده، بعضها يرتبط بأحداث معاصرة له وبعضها يمتد الى قرون لاحقة ، هذه الرؤية اما ان تكون قد نسبت للنبي لاحقا لتعطي بعدا تبريرا لتسويغ السياسة الاجتياحية اللاحقة للخلفاء لخلق مجال حيوي لتخصيب المؤسسة السياسة الناشئة وديمومتها اقتصاديا وعسكريا ،لتكتسب مواصفات الدولة القوية ضمن المعايير القروسطية لقيام الدول (الحق الالهي بالحكم -الحدود المترامية – المركزية العسكرية-اللامركزية الادارية-النظام الضريبي)؛ او انها نصوص سليمة استشرافية اخبارية، تعرضت لاحقا للتركيب ، ونحن نذهب الى الاعتقاد بهذا الراي لان النبي قد نقل عنه انه اخبر بأحداث تعصف باهل بيته(عليهم السلام) واخبر عن اعداءه فما كان رده ازاء هؤلاء هل قام بإزاحتهم رغم ادراكه بمجريات الاحداث من بعده؟ والاجابة كلا[17] .

DOI:10.18018/URUK/019-12/884-898

ويبدو ان كتاب الحوليات والكهنة توقعوا حصول الفتوحات التي تحدث عنها كتب الاولون ويخبرنا التاريخ النسطوري ان يونان صاحب دير برطورا في سنجار تنبأ قبل وفاته ببطلان حكم الفرس على يد اولاد اسماعيل عندما ضهر شكل في السماء يشبه الرمح ويومها تفائل الناس وعدت علامة ظهور ملك العرب الذي يعد عقابا على معصية المسيحين [18] .

ان هذا النوع من النصوص يحتاج الى وقفة تحليلية شمولية موضوعية ،لكن ما يعنينا في هذا المقال ان صحابة السقيفة لجأوا بدهاء وحرفية الى تبني منهجا توظيفيا للإرث المحمدي النمطي السائد:(النصي-السّيري-الاستشرافي)لإضفاء الصبغة المشروعية على القرار الجديد للخليفة البشري بعد ان فقدت الامة القرار السماوي المتمثل بوحي عصر النبوة، بعبارة اخرى، يتم ادلجة الارث المحمدي ليتسق مع المرحلة الجديدة المتأزمة التي تحمل صورة قاتمة ثلاثية الابعاد متمثلة: بـ (بالصدمة بموت النبي-انقطاع الوحي- ازاحة الامام علي - الانقسام).

الامام علي (ع)بين الاعتزال والموضوعية

لقد أحدثت وفاة النبي سنة 12هـ/ 632م في المدينة، صدمة عنيفة تركت اثرا في صيرورة الاحداث اللاحقة وجل هذه الاحداث خلافة النبي(ص) وحيثيات قضية السقيفة التي اظهرت لاول مرة وجود فرقتين في الاسلام فرقة الزمت نفسها ببيعة الامام علي(ع) وفرقة ركنت لمقررات اجتماع السقيفة[19] .

وقد اجمع المؤرخون على ان الامام علي(ع) لم يكن راضيا عن الاحداث الانقلابية التي تلت موت النبي (ص) فقال الامام علي (ع):" يا معشر المهاجرين، الله الله لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان منا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بالسنة، المضطلع بأمر الرعية؟ والله إنه لفينا؛ فلا تتبعوا الهوى؛ فتزدادوا من الحق بعدا ،فقال احد اصحابه :"لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان، ولكنهم قد بايعوا وانصرف علي إلى منزله ولم يبايع، ولزم بيته حتى ماتت فاطمة (ع) [20] .

وقد اشار الامام علي (ع)في موضع لاحق بنحو دقيق ما جرى من احداث بعد موت النبي(ص) وكيف اعتزل ساحة التنافس، وكيف رجع لاحقا ليضطلع بدوره للحفاظ على الارث المحمدي من الزوال والتحريف في كتابه إلى أهل مصر: "أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين ، .. فلما مضى تنازع المسلمون الأمر من بعده ، فو الله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته ولا أنهم مُنَحُّوهُ عني من بعده ، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه ، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام ، يدعون إلى محق دين محمد فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً ، تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم ، التي إنما هي متاع أيام قلائل ، يزول منها ما كان كما يزول السراب ، أو كما يتقشع السحاب ، فنهضت في تلك الأحداث ، حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتَنَهْنَهْ"[21]

ولا ادل من هذه المقولة على انه قام ليأخذ موقعه للحفاظ على القيم الاخلاقية للإسلام زاهدا بكل ما تنطوي عليه ملامح الحكم ،اذ لم يشارك الامام علي(ع) في ايّ عمل عسكريّ بصفة قائد او مقاتل و لم يعمل

DOI:10.18018/URUK/019-12/884-898

قاضياً او واليا او عاملا علي الصدقات حتى توليه الخلافة سنة 35هـ/ 655م،وقد اثبتت الاحداث انه اضطلع بمهمة الجندي المجهول بصفته مستشار يتعامل بمنتهى الموضوعية مع الامر الواقع الذي يتعلق بحياة المجتمع ،ناصحا لتقويم سياسة الخلافة التي امست امرا واقعا يتحكم بمصير الاف من البشر والقضية ابعد من ان يؤثر حقوقه عليها لذلك نجد عمر يقول فيه :" عجزت النساء أن تلد مثل على بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر"[22].

ويبدو ان دور الامام كان يتمحور في خلق منهج التوازن بين التحولات الأيديولوجية الجديدة وبين الارث المحمدية الذي اثبتت جميع الاحداث انه كان خير من يمثله وباعتراف الجميع ، ولم نجد في النصوص التاريخية ما يثبت ان الامام علي(ع) اشار على ابي بكر او عمر بن الخطاب بإذكاء نار هذه الحرب الدينية، بل أن الجهاد من وجهة نظره مشروط بالعدل والثقة، اذ يقول (ع):" لَا يَخْرُجُ الْمُسْلِمُ فِي الْجِهَادِ مَعَ مَنْ لَا يُؤْمَنُ عَلَى الْحُكْمِ وَ لَا يُنْفِذُ فِي الْفَيْءِ أَمْرَ اللَّهِ (عَزَّوَجَلَّ) فَإِنَّهُ إِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ كَانَ مُعِيناً لِعَدُوِّنَا فِي حَبْسِ حَقِّنَا وَ الْإِشَاطَةِ بِدِمَائِنَا وَ مِيتَتُهُ مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ"[23].

ان الفهم السليم لمجريات احداث هذه المرحلة يضعنا على طريق فهم موقف الامام علي من الفتوحات بل ومن جميع الاحداث اللاحقة كحروب الردة [24]التي حدثت تبعا لارتداد بعض القبائل عن الاسلام وقيام قبائل اخرى بمنع اموال الصدقات[25] عن حكومة الخلافة .

ويبدو ان هذه الاحداث ظهرت كرد فعل على الفراغ الذي احدثه موت النبي(ع) ، ولعل الصورة الرسالية السلمية للمهاجرين والانصار التي كانت كالبنيان المرصوص ابان حياة النبي سرعان ما تصدعت لتحل محلها صورة اصطبغت بالصبغة البشرية التقليدية المتمثلة (الطموح – الازاحة – التنافس)، حينما انصهرت الحماسة الدينية في بودقة واحدة مع النعرة القبلية التي سعى النبي(ص) على مدى 23 عاما لإجهاضها.

ان التحول نحو أيديولوجية حرب التأديب العسكرية التي مثلت مرحلة ما قبل الفتوحات ،تدعونا للترجيح راي مؤداه ان ابي بكر حاول ان يقلل من الاحتقان المتزايد في الجبهة الداخلية بين المهاجرين والانصار والاوس والخزرج ومن هم على بيعة الامام علي(ع) ومن ذهبوا الى ترسيخ مقررات السقيفة، وكان اعتزال الامام علي(ع)، فاعلا ومحفزا الى محاولة نقل هذه الفورة بعيدا عن مركز الاحداث ولاسيما وان الروح القبلية برزت للعيان بحلتها التوحيدية الجديدة ، ولعل مسيلمة الكذاب الذي اعلن نبوته المزيفة ابان حياة النبي لكن النبي لم يتخذ أي اجراء قمعي ازاءه [26].

وبعد ان تم اخضاع جميع ارض الحجاز الجنوبي الى سلطة المدينة نلمس توجها صوب الشمال والشمال الغربي والشمال الشرقي بعد ان استحوذ المركب(العصبي- العقدي) على العقلية العربية لنيل المغانم الاخروية او الغنائم الدنيوية ،هذه القوه البشرية المتدفقة والمتزايدة بفعل تزايد اعتناق الموالي للإسلام والثقة المتأتية من اخضاع الحجاز ، هذه الانتصارات وضعت الخلافة في موقع يسمح لهم ان تعطي اوامرها للانسياح في الاراضي القريبة والبعيدة ،الذي ساعدهم في ذلك معارضة القبائل العربية المضطهدة بفعل سياسة الدولتين البيزنطية والساسانية ، ولما عزم أبو بكر على محاربة الروم سنة 13هـ/ 634م ، شاور الصحابة، فقدَّموا وأخَّروا ، فاشار عليه الامام عليَّ (ع) بقوله:" إن فعلتَ ظفرت " فقال:" بُشِّرت بخير"[27]، ويخيل لنا ان هذا النص لا يحمل أي اشارة عن الظرفية التي اشعلت الجدل حول مقاتلة الروم ولم نلمس ان الامام علي حث على قتال الروم للظفر بمغانم بلادهم بل يلوح لنا انها

DOI:10.18018/URUK/019-12/884-898

جاءت امتدادا للسياسة التأديبية التي نهجها النبي(ص) في غزوتي مؤته وتبوك ،ولعل هذه المرحلة لم تكن فكرة الاستحواذ على املاك الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية قد تشكلت في العقل الجمعي للصحابة.

ولعل حالة الاضطهاد التي كانت ترزح تحت وطأتها القبائل العربية والاقليات الدينية المسيحية [28]،امست ذريعة لاضفاء الشرعية على هذه الفتوحات، ولعل رسائل ملك فارس يزدجر الثالث لإمبراطور الصين يرد فيها أن عرب فارس تسببوا في انهيار الساسانيين، وجاء في تاريخ ميخائيل الكبير ما نصه :"إن الله إله النقمة الذي وحده له السلطان على كلّ شيءٍ، هو الذي يغيّر الملك كما يشاء ويعطيه لمن يشاء، ويقيم عليه الضعفاء، إذ رأى خيانة الروم الذين ينهبون كنائسنا وأديرتنا كلما اشتدّ ساعدهم في الحكم، ويقاضوننا بلا رحمة، جاء من الجنوب بأبناء إسماعيل، لكي يكون لنا الخلاص من أيدي الروم بواسطتهم. إن فائدتنا لم تكن يسيرة، حيث إننا تحررنا من خبث الروم ومن شرّهم وبطشهم وحقدهم المرير علينا وتمتعنا بالطمأنينة"[29].

الفتوحات والصورة النفسية للعرب في رؤية الامام علي (ع)

كان الامام علي (ع) اكثر الناس حكمة بأحوال من عاصره وكان مدركا بان اللهاث المحموم وراء المكاسب والمصطبغ بالصبغة الدينية بات متأصلا في النفوس وان الايمان بدين الله لم يكن متأصلا لديهم جميعا، ولا ادل من جوابه حينما سؤل لو ان النبي ترك ولدا ذكرا قد بلغ الحلم، وآنس منه الرشد، أكانت العرب تسلم إليه أمرها فرد قائلا:" لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت، أن **العرب كرهت** أمر محمد **وحسدته** على ما آتاه الله من فضله، **واستطالت** أيامه حتى **قذفت** زوجته، **ونفرت** به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها، وجسيم مننه عندها، **وأجمعت** مذ كان حيا على صرف الامر عن أهل بيته **بعد موته**، ولولا أن قريشا جعلت اسمه **ذريعة** إلى الرياسة، **وسلما** إلى العز والإمرة، لما عبدت الله بعد موته يوما واحدا، **ولارتدت** في حافرتها، وعاد قارحها جذعا، وبازلها بكرا، ثم **فتح** الله عليها **الفتوح**، فأثرت بعد الفاقة، **وتمولت** بعد الجهد والمخمصة ، **فحسن** في عيونها من الاسلام ما كان **سمجا**، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطربا، وقالت: لولا إنه حق لما كان كذا"[30].

يستوقفنا هذا النص لأنه بمثابة تحليل سيكولوجي دوغمائي للحاضنة البدوية المحيطة بالنبوة من الناحيتين(النفسية و الروحية)، وكيف لجأت هذه الحاضنة الى تبني منهج :(المسايرة -الازدواجية -الاضمار – والانتحال- ومصادرة المجد الروحي-والتوظيف الترسيخي للسلطة الكلاسيكية الاعتبارية للقبيلة) من ثم يأتي دور الفتوحات (المكاسب –الغنى –الترف –المصادقة) هذه المغانم التي عدت مكافئة من الله واستبدال عسر حالهم باليسرة وسببا في بقائهم على الاسلام وعدم ارتدادهم ، ولعل الامام علي (ع) اراد ان يخبرنا بان هذه الحاضنة يوم ذاك لم تبلغ المرحلة (التجريدية الروحية) بل لا زالت ترزح تحت تأثير المبتنيات العقلية (التجسيدية الجاهلية) في اشارة الى ان الفتوحات كانت مصادقة على ذلك ،ولو افترضنا عكس ذلك أي ان المسلمين اندحروا في المعارك هل كانوا سيبقون على اسلامهم ؟ وهذا جل ما ذهب اليه الامام علي (ع)أي ان العقلية العربية لم يستحكم فيها الايمان المطلق بدون لمس المكاسب بمعنى ارتباط المكاسب الاقتصادية بالتوازن(النفسي- الديني) لدى المسلمين.

لقد كانت روح الرياسة والمغانم متأصلة في نفوس الفاتحين الفارين من جدب الحجاز الى الواحات الغنّاء في العراق والشام ومصر وغيرها فكان ابو عبيدة بن الجراح

DOI:10.18018/URUK/019-12/884-898

احد ابرز قادة الفتح قبل معركة اليرموك سنة 15هـ/ 636 م سال اصحابه واستشارهم لما رأى كثرة الروم وتأهبهم في امر القتال فقال له احدهم :" لاردنا الله إلى أهلنا سالمين أن خرجنا من الشام وكيف ندع هذه الأنهار المتفجرة والزروع والأعناب والذهب والفضة والديباج ونرجع إلى قحط الحجاز وجدبه وأكل خبز الشعير ولباس الصوف ونحن في مثل هذا العيش الرغد فإن قتلنا فالجنة وعدنا ونكون في نعيم لا يشبه نعيم الدنيا فقال أبو عبيدة: "يا معاشر المسلمين أترجعون إلى بلاد الحجاز والمدينة وتدعون لهؤلاء الأعلاج قصورا وحصونا وبساتين وأنهارا وطعاما وشرابا وذهبا وفضة ما لكم مع ما لكم عند الله عز وجل في دار البقاء من حسن الطعام ولقد صدق قيس بن هبيرة في قوله لنا ولسنا ببارحين منزلنا هذا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين"[31] .

الدور الأيديولوجي للأمام علي (المشورة – التخطيط – التوجيه عن بعد)

يبدو ان حيثيات الامر الواقع والتطورات الديناميكية للأحداث الزمت الامام علي(ع) بان يضطلع بدور محوري في مجريات الاحداث ولاسيما وان الفتوحات تعد مراهنة خطيرة تمثل تمددا عسكريا في مناطق لم يكن لهم بها صولات من حيث الجغرافيا العسكرية ،وكان يدور رحاها مع اكبر قوتين عسكريتين في ذلك العصر لذلك كان ينبغي الحيلولة دون الانكسار والتعرض الى غزو معاكس من قبل احدى القوتين او في حالة اجتماعهما معا، فضلا عن نشر تعاليم الاسلام السمحاء في المناطق المحررة والحفاظ على الممتلكات العامة والتقسيم العادل للغنائم وبلوغ النتائج باقل عدد ممكن من الخسائر، وتقليل حدة النعرة الحماسية للفاتحين، فقد تعامل الامام علي(ع) مع هذه المعطيات بمشرط جراح ان صح البيان، ولاسيما وانه في مقام لا يملك فيه القرار السياسي المباشر وليس له الا المشورة ،لكن حسن تدبيره وبراعته جعلته يسحب البساط من تحت اقدام جميع المستشارين الاخرين ويحضى بثقة الخليفة عمر بن الخطاب في توجيه مجريات هذه المعارك.

لقد اقر الامام علي (ع) بدوره بالتخطيط والتدبير لسير هذه المعارك بالمنهج الذي حافظ على تطبيق حدود الله ،واكد على ان مقامه من النبوة الذي لم يكن لصلة الرحم فحسب، بل لعلو مكانته وحسن تدبيره في جميع شؤون الحياة الامر الذي الزم من تولى المنصب السياسي بمشورته ، حتى انهم اقروا ان دوره قد تعرض الى الطمس والتهميش ،وان تدابيره وادواره قد نسبت الى غيره من الولاة والقادة فيقول في ذلك امير المؤمنين (ع):" ثم **نسبت** تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الامراء القائمين بها، فتأكد **عند الناس** نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن **خمل ذكره**، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف إن رسول الله(ص) لم يقربني بما تعلمونه من القرب للنسب واللحمة، بل **للجهاد والنصيحة**... اللهم إنك تعلم إني لم أرد الامرة، ولا علو الملك والرياسة، وإنما أردت القيام بحدودك، والأداء لشرعك، ووضع الأمور في مواضعها، وتوفير الحقوق على أهلها"[32] .

ان هذا النص يحمل بين طياته اشارة صريحة حول دوره العسكري المتمثل (بالتخطيط والقيادة)الذي تعرض للإزاحة بفعل تيار مضاد كان متبنيا لمنهج انتحالي حاول اخفاء بصماته الابداعية عن خارطة الاسلام .

ان وجود الامام علي(ع) في مرحلة حرجة كمرحلة الفتوحات اعطى ثقة للصحابة سواء في الامصار الاسلامية او أولئك الفاتحين في الاراضي البعيدة ان نسيج

DOI:10.18018/URUK/019-12/884-898

الاسلام متماسك من الجهة الداخلية ،ويبدو ان الامام علي(ع) قد استخدم عبقريته لترتيب قطع هذه المعادلة ،لان صورة الامام علي تتحلل في موشور عقلية جماعة الصحابة الى حيثيات: (التنافسية – الارثية – المعارضة- العبقرية) ، بالتالي نجد انه تمكن من ان يفرض وجوده العبقري حتى صارت اليه اليد الطولى في حسم الازمات وكان عمر بن الخطاب لا يستغني عن مشورته ،التي كانت سببا في نجاة الامة من الازمات او الآراء الغير موضوعية التي يسوقها البعض من قبيل النصح.

فبعد هزيمة المسلمين في معركة الجسر 13هـ/634م[33] اجتمع اهل فارس لحرب المسلمين في مئة وخمسين ألفا، وتعاهدوا على أن يخرجوا المسلمين من أرضهم ويغزوهم في بلادهم، حتى انهم قتلوا كل مسلم في مدنهم، وتقاربوا مما فتحته الجيوش الاسلامية، وانهم قصدوا المدائن ويصيروا منها إلى الكوفة، فاستشار عمر بن الخطاب أصحابه، فأشاروا عليه ان يمضي بنفسه لحرب الفرس ومنهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن عوام وعثمان بن عفان الذي رأى الاخير ان يجمع قوة من اهل الشام واهل اليمن ويتوجه بهم الخليفة على راسهم قوة من اهل المدينة من ثم تتوجه الى الكوفة[34].

ولما سال علي (ع) صور لعمر الخارطة السياسية لأحداث بمنتهى البراعة بقوله: فَإِنَّكَ إِنْ أَشْخَصْتَ أَهْلَ الشَّامِ مِنْ شَامِهِمْ سَارَتِ الرُّومُ إِلَى ذَرَارِيِّهِمْ، وَإِنْ أَشْخَصْتَ أَهْلَ الْيَمَنِ مِنْ يَمَنِهِمْ سَارَتِ الْحَبَشَةُ إِلَى ذَرَارِيِّهِمْ، وَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ وَالْعِيَالَاتِ، أَقْرِرْ هَؤُلَاءِ فِي أَمْصَارِهِمْ وَاكْتُبْ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَلْيَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ فِي حُرَمِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، وَفِرْقَةٌ فِي أَهْلِ عَهْدِهِمْ حَتَّى لَا يَنْتَقِضُوا، وَلْتَسِرْ فِرْقَةٌ إِلَى إِخْوَانِهِمْ بِالْكُوفَةِ مَدَدًا لَهُمْ ؛ إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا قَالُوا: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ الْعَرَبِ وَأَصْلُهَا، فَكَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ، وَأَمَّا عَدَدُهُمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ وَلَكِنْ بِالنَّصْرِ[35].

فالنص السابق يدل على العمق الاستراتيجي في نظرة الامام علي(ع) الميدانية ،فان خروج مقاتلة اليمن يعرض اهلها لهجوم مضاد من الاحباش وخروج الشامين يعرضهم لهجوم مضاد من الروم، وان خرج وجد المتربصون من العرب فرصة للانقضاض الامر الذي سيجلب الويلات على الاهالي ،واشار عليه بالحرب النوعية وذكره ان معاركهم التي خاضوها حسمت بالنصر ولم يكن لهم الغلبة العددية،و اشار عليه ان يجند الثلث من قوة اهل البصرة ،حتى لا يرى الاعداء في ذلك ضعفا في القيادة او يضنوا ان ثمة نقص في الرجال والمستشارين ليخرج كبيرهم بنفسه وهنا نلمس ترتيب الاولويات الدفاعية:1. حماية الاهالي 2. الحيلولة دون حدوث ارتداد 3. توظيف ما تبقى من القوة بشكل نوعي في الاعمال العسكرية 4. اختيار القيادة المثلى المضطلعة بالخبرة الجغرافية (من اهل العراق) لانهم اعلم بارضهم، وقد اشار عليه بتكليف النعمان بن مقرن [36] للاضطلاع بهذه المهمة فكان جواب عمر قال :"ويحكم ! عجزتم كلكم عن آخركم أن تقولوا كما قال أبو الحسن ! والله لقد كان رأيه رأيي الذي رأيته في نفسي"[37].

وكان الامام علي (ع) ينصح بعدم خروج الخليفة خارج اسوار المدينة وصرح بذلك في اكثر من مناسبة فكان يرى بان خليفة المسلمين ينبغي عليه ان يتحصن بموقع محوري يحافظ فيه على المكانة الروحية والتوجيه المركزي لمجريات الاحداث والحيلولة دون ان يصبح الخليفة طرفا في معركة عسكرية مباشرة تحتمل النصر

DOI:10.18018/URUK/019-12/884-898

او الهزيمة فنراه يقول لعمر بن الخطاب :"فكن قطباً ، واستدر الرحى بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب"[38].

ونجده في موضع اخر يذكره بذلك حينما عزم على غزو فلسطين وفتح بيت المقدس يومها نصحه بعدم التوجه الى هنالك واشار عليه بارسال من يقوم مقامه بمعية مقاتلين اشداء ومستشارين حكماء ليضطلعوا بالمهمة فان تحقق النصر او الهزيمة يكون الخليفة بمأمن فقال له:" إنك متى تسر إلى هذا العدو **بنفسك** ، فتلقهم فتنكب ، لاتكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم ، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه فابعث إليهم رجلاً مجرباً ، واحفز معه أهل البلاء وإلنصيحة ، فإن أظهر الله فذاك ما تحب ، وإن كانت الأخرى ، كنت ردْءاً للناس ومثابة للمسلمين[39] ،ولعله بذلك حاول ان يحافظ على هيبة الاسلام بان صورة النبي(ص) وخليفته بمظهر الفاتح الغازي الامر الذي يشتتت صورة الاسلام في اذهان الشعوب المفتوحة ، لكن عمر بن الخطاب رأى غير ذلك فذهب بنفسه بعد ان استخلف الامام علي على المدينة[40].

ويبدوا ان استخلاف الامام علي على المدينة يعد اقرارا من عمر بان عليا كان اكفئ الجميع ليحل محله على المدينة، ولعل هذا التدبير لم يلجأ اليه احد سوى النبي (ص) في غزوة تبوك عندما استخلف الامام علي(ع) [41] ، ولعل الخليفة عمر اراد جلب الطمأنينة لنفوس اهل المدينة بمشابهة غزوه تبوك بفتح بيت المقدس باستخلافه الامام علي (ع) ،ويبدو ان تبوك كانت ابعد نقطة جغرافية وطأها النبي (ص)على راس جيش بعيدا عن المدينة في مرحلة تعج بالفتن كذلك الحال مع بيت المقدس اذ كانت ابعد نقطة جغرافية يطأها عمر بن الخطاب على راس جيشه بعيدا عن المدينة، ونخال ان اختيار الامام علي(ع) في كلتا الحالتين يرتد لسبب واحد مؤداه ان عليا كان الشخص الوحيد الذي يمتلك قدرة اعادة التوازن في الازمات الحرجة، في حالة موت النبي او موت الخليفة، ولعل هذا اعتراف تاريخي من عمر بن الخطاب بان عليا (ع) لم يكن مجرد مستشار بل كان حجر الزاوية في دلالة الاستخلاف الحقيقية للنبوة سياسا وعسكريا ودينيا .

ولعل مشاركة بعض الشخصيات المقربة من الامام علي (ع) في الفتوحات على شاكلة سلمان الفارسي وابو ذر الغفاري [42]، التي التزمت ببيعته الامام (ع)ولم تركن الى مقررات السقيفة واضطلاع هذه الشخصيات بدور انساني واخلاقي لتطبيق وصايا الامام علي(ع) في ادارة شؤون المناطق المفتوحة والاقلال من المنافسة المحمومة على الغنائم وتقليل وطأة الحرب في شذرات نزرة بين متون المصادر ،ولعلها قرينة على وجود دور للإمام علي (ع) في توجيه الاحداث ميدانيا من خلال صفوته من هؤلاء الصحابة.

اما عن سلمان الفارسي فعرف عنه انه كان رائد المسلمين وداعيتهم في فتح فارس[43] وكان يخاطب الفرس بقوله: "إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ فَارِسِيٌّ، تَرَوْنَ الْعَرَبَ تُطِيعُنِي، فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ فَلَكُمْ مِثْلُ الَّذِي لَنَا، وَعَلَيْكُمْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَا..."[44]، ان هذه النبرة التي حملتها كلمات سلمان لهي دلالة واضحة على عمق الخطاب الذي يحمله بين طياته في عرضه لقيم الاسلام الحقيقية التي لا تفاضل بين عربي او اعجمي الا بالتقوى ،وكيف ان سلمان رغم انه من غير العرب فله الامر على رقاب الفاتحين لعلو منزلته في الاسلام .

اما عن ابي ذر الغفاري فيبدو انه كان حريصا على عدم انجراف المسلمين وراء الغنائم وسعى الى اقامة العدل بين الفاتحين ،ويبدو انه كان مكلفا بذلك ،عندما احتكم اليه احد المقاتلين في ظلامة وقعت عليه من يزيد بن ابي

DOI:10.18018/URUK/019-12/884-898

سفيان احد قادة الفتح عندما اختصب جاريته التي كانت من حصته فما كان من ابي ذر الا ان يرجعها الا مالكها الاول :" غزا يزيد بن أبي سفيان بالناس فغنموا فوقعت جارية نفيسة في سهم رجل فاغتصبها يزيد فأتى الرجل أبا ذر فاستعان به عليه فقال له رد على الرجل جاريته فتلكأ عليه ثلاثا فقال إني فعلت ذاك لقد سمعت رسول الله (ص) يقول أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد فقال له يزيد بن أبي سفيان نشدتك بالله أنا منهم قال لا قال فرد على الرجل جاريته"[45] .

ويبدو ان الإمام علي (ع) كان له راي بمسالة الغنائم فذهب الى ان توزع الحصص بالتساوي بين الجميع ، اما عن نفسه فكان زاهدا بكل ما جلبته الفتوحات من مكاسب ،فلما فتحت المدائن طلب الخليفة عمر مشورة الصحابة في كيفية التعامل مع بساط كسرى الذي كان يفتخر به على ملوك الدنيا[46] فقال له الامام علي (ع) :"لم يدخل عليك جهل ولا تقبل شكا وإنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت ولبست فأبليت وأكلت فأفنيت قال فوالله لقد صدقني يا أبا الحسن ثم إنه قسم البساط قطعا بين الناس قال فأصاب كل رجل منهم قطعة فباعها بنحو العشرين ألف دينار"[47].

وكانت له نظرة بعيدة الامد في الاراضي المفتوحة فحين شاور عمر الصحابة في ارض الكوفة قال له بعضهم نقسمها بيننا فشاور عليا في ذلك فقال له :" ان قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيئ بعدنا شيء، ولكن تقرها في ايديهم يعملونها فتكون لنا ولمن بعدنا فقال وفقك الله هذا الراي"[48].

وفي رواية اخرى ان عمرا لما اردا مشورته في قسمة السواد يوم جلولاء قال له :" لولا ان يضرب بعضكم وجوه بعض لقسمت هذا السواد بينكم"[49]، ويبدو ان الامام علي(ع) كانت له نظرة عميقة في قضية الملكية الفردية، وكان موقفه واضحا في سعيه من الحد من تأسيس طبقة برجوازية في الاسلام او تحول الاسلام الى فاعل لقيام منظومة طبقية من خلال ضمان بقاء النظام الاقتصادي المرتبط بالنظام الزراعي ببيت المال العام الامر الذي يكفل العدالة الطبقية ، ويستطيع المطلع على سير الاحداث اللاحقة ان يدرك تداعيات تشكل الأرستقراطية الاسلامية ولاسيما في خلافة عثمان بن عفان وكيف كانت فاعلا مباشرا لزوال الخلافة الراشدة بفعل الفتن التي وقعت لاحقا التي اودت بقتله سنة 36هـ/656م [50] .

وحين تولى الامام علي (ع)الخلافة عكف على ابقاء ملكية الاراضي بيد الدولة للحيلولة دون حدوث أي انقسام بين المسلمين بسبب اللهاث وراء المكاسب ويبدو ان الامام علي كان واعيا للنتائج السلبية التي جلبتها الفتوحات على لحمة المسلمين، وتحولهم من حالة الزهد الى الترف وظهور الطبقية في الاسلام، وهنا يلوح الينا تساؤل ساترك امر مناقشته للقارئ الكريم ، هل كانت المغانم التي جلبتها الفتوحات سببا في الفتن اللاحقة ؟

سياسته المباشرة من الفتوحات ابان خلافته

هنالك راي مؤداه ان الامام علي (ع) اوقف الفتوحات الاسلامية، لكن اشارات عن معارك قام بها المسلمون في خراسان والسند والهند، قد وقعت في عهده ،ففي رواية الطبري الذي اورد قوله :"بعث علي بعد ما رجع من صفين جعدة بن هبيرة المخزومي [51]إِلَى خُرَاسَان، فانتهى إِلَى أَبْرَشَهْر، وَقَدْ كفروا وامتنعوا، فقدم عَلَى علي فبعث خليد بن قرة اليربوعي، فحاصر أهل نيسابور حَتَّى صالحوه، وصالحه أهل مرو، وأصاب جاريتين من أبناء الملوك نزلتا بأمان، فبعث بهما إِلَى علي، فعرض عليهما الإِسْلام وأن يزوجهما، قالتا: زوجنا ابنيك، فأبى، فَقَالَ لَهُ

DOI:10.18018/URUK/019-12/884-898

بعض الدهاقين: ادفعهما إلي، فإنه كرامة تكرمني بِهَا، فدفعهما إِلَيْهِ، فكانتا عنده، يفرش لهما الديباج، ويطعمهما فِي آنية الذهب، ثُمَّ رجعتا إِلَى خُرَاسَان"[52]، ونلمس في هذه الرواية ان الامام علي ارسل حملة تأديبية الى خراسان التي فتحها المسلمون سنة 18هـ/638م وقيل 22هـ/642م ـــ وقيل انه فتحها اكتمل في سنة 31هـ /651م في زمن عثمان بن عفان[53]،وهي ضمن نطاق الدولة، ويبدو ان كلمة **كفروا وامتنعوا** تلوح (بالارتداد ومنع الصدقات) ، الامر الذي يقطع بان المنطقة كانت ضمن نطاق المناطق التي دخلها المسلمون في عهد من سبقه من الخلفاء، ولعل الامام انفذ هذه الحملة لبسط الامن ولاسيما وان هذه المرحلة كانت تعد الاكثر اضطرابا بسبب الحروب الداخلية، كمعركة الجمل سنة 36هـ /656م ومعركة صفين ـــــسنة37هـ/657م ،ومعركة النهروان سنة 38هـ/658م [54].

ويرد ايضا في تاريخ خليفة بن خياط في احداث سنة 36هـ ارسال الْحَارِث بْن مرّة الْعَبْدي إِلَى غَزْوا الْهِنْد فجاوز مكران إِلَى بِلَاد قندابيل ووغل فِي جبال القيقان فَأَصَاب سَبَايَا كَثِيرَة[55] .

وايضا في فتوح البلدان يرد ان الامام علي (ع) انفذ حملة لغزو السند اذ يرد:" لما كان آخر سنة ثمان وثلاثين وأول سنة تسع وثلاثين في خلافة علي بْن أَبِي طالب رضي اللَّه عنه توجه إِلَى ذلك الثغر الحارث بْن مرة العبدي متطوعا بإذن علي فظفر وأصاب مغنما وسبيا وقسم في يوم واحد ألف رأس"[56]،ويبدو جليا اضطراب هاتين الروايتين لسببين الاول، لان مكران وبِلَاد قندابيل و جبال القيقان تعد من مناطق السند على حسب ما جاء به البلدانيين[57]، الامر الذي يضعف نظرية ارسال حملات لفتح الهند ، فضلا عن الوضع الداخلي الذي يحول دون التمدد في اماكن بعيدة بل على العكس تماما ان المعارك الداخلية يمكن ان تعد فرصة سانحة لتلك المناطق للتعدي على المسلمين ولم تثبت المصادر التاريخية ان في عصر الامام علي توسعت مساحة الدولة ولم يكن للمسلمين حكم على مناطق جديدة كما يبدو جليا في سياق النص ان الحملة لم تكن لفتح السند بل كانت موجهه الى ثغر، والثغر لغةً كُلُّ فُرْجَةٍ فِي جَبَلٍ أَو بَطْنِ وَادٍ أَو طَرِيقٍ مَسْلُوكٍ؛ اومَا يَلِي دَارَ الْحَرْبِ، او مَوْضِعُ المَخَافَة مِنْ فُروج البُلْدانِ او الْمَوْضِعُ الَّذِي يَكُونُ حَدًّا فَاصِلًا بَيْنَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَالْكُفَّارِ، او مَوْضِعُ الْمَخَافَةِ مِنْ أَطراف الْبِلَادِ[58]، الامر الذي يقطع بان الامام علي(ع) لم ينهج سياسة توسعية اتجاه اراضي السند قدر اعتماده سياسة تحمل في طياتها حيثيات دفاعية على الرغم من اغفال الاخبارين المسلمين الاشارة الى تفصيلات هذه الحملة العسكرية ،وصفوه القول ان عهد الامام علي(ع) لم يكن عهد فتوحات ولم يتبنى الامام سياسة توسعية في عدا ما مكان دارجا من الحملات العسكرية التأديبية للمناطق الواقعة تحت نفوذ سلطة الخلافة.

الخاتمة

ان قراءة حيثيات النصوص التاريخية لوقائع الفتوحات الاسلامية تكشف النقاب بنحو جلي عن الدور الانساني الذي اضطلع به الامام علي(ع) في وقت كان وبجدارة رائد المعارضة الموضوعية الخلاقة ،التي برزت بقدرته على تغليب المصلحة العامة على الجوانب الشخصية ورص الصفوف في اوقات الازمة،،زيادته على قدرته العالية على الوصف التحليلي النفسي لطبيعة المجتمع المعاصر له ويبدو ان وجود الامام علي(ع) في قمرة قيادة كان سببا في الحفاظ على الجبهة الاسلامية من التصدع داخليا وخارجيا، من خلال قدرته الخلاقة على خلق سياسة التوازن وحيازته على مكانه المستشار الاول في عهد

DOI:10.18018/URUK/019-12/884-898

الخليفة عمر على الرغم من التداعيات التي حدثت بعد احداث السقيفة، كذلك قدرته على توجيه الاحداث دون ان يكون له دور مباشر بصفه قائد او امير جيش ومن خلال وجود من يمثل منهجه في الميدان من الصحابة من امثال سلمان وابي ذر ،كما لمس الباحث ان المصادر التاريخية قد اسرفت في تصوير الفتوحات الاسلامية على انها تعبيرا عن حالة جهادية والاقلال من الحماسة الاقتصادية للفاتحين فضلا عن اغفالها الاشارة الى الخسائر البشرية والمادية والحضارية التي وقعت بفعل العمليات العسكرية للفاتحين المسلمين، كما لمسنا اغفالا متعمدا لدور الامام علي (ع) في هذه الفتوحات كما لمسنا بنحو جلي ان الفكر العسكري للإمام علي قائم لتحقيق اهداف اخلاقية غير استتباعيه غير توسعية للشعوب المناطق المفتوحة، خلال جعل سياسة التوزيع العادل للثروات والحد من ظهور الاقطاعية في الاسلام بفعل ابقاء يد الدولة على الاراضي الزراعية.

الهوامش

(1) الروم (1-5)

(2) ابن هشام ،السيرة 607/2

(3) ابن كثير ،السيرة 498/3، 508

(4) ابن حبان ،السيرة، 297/1

(5) حمل نص رسالة النبي الى هرقل ملك الروم تذكيرا بإثم الأريسيّين ، كما حملت رسالة النبي الى كسرى ملك الفرس " تذكيرا بإثم المجوس ابن كثير، السيرة 501/3، 508

(6) ابن حبان، السيرة ،297/1

(7) النمري، الدرر في اختصار المغازي، 95/1

(8) الواقدي ،المغازي، 755/2؛ 989/3

(9) التوبة ،29

(10) التوبة ،29

(11) مسلم ،الصحيح ،2274/4؛ البيهقي، السنن الكبرى،462/7

(12) ابن هشام ،السيرة 522/1؛الواقدي،المغازي460/2

(13) الاحزاب ،12،ابن سيد الناس، عيون الاثر، 242/1؛ابن كثير، السيرة 346/2

(14) سبل الهداية والرشاد82/10

(15) السيوطي ،الخصائص الكبرى،198/2

(16) برهان الدين ،السيرة الحلبية ،450/1

(17) احصى المقريزي بابا كاملا عن الرؤيا الاستشرافية للنبي عن احداث خطيرة في التاريخ الاسلامي كوقوع الفتن ومقتل الحسين (ع) وقيام مدينة بغداد وخرابها واحوال المسلمين والكوارث الطبيعية كالزلازل ..لمزيد ينظر المقريزي ، إمتاع الأسماع،390-3/12

(18) مترجمة من نص سيرياني، عيتاني ،رواية المغلوبين 61 -90

(19) للمزيد حول الاحداث التي وقعت بعد النبي ينظر ،الجوهري، السقيفة وفدك،37-97

(20) ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة،12/6

(21) ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة،151/17

(22) الرازي ،مفاتيح الغيب ،380/21 محب الدين الطبري، ذخائر العقبى 82/1

(23) الشيخ الصدوق،الخصال،625

(24) للاطلاع على تفصيلات هذه المعارك ينظر الواقدي ،الردة ،48-167

(25) المقصود هنا مالك بن نويرة التميمي، وولّاه صدقات بني يربوع، ولما ولي أبو بكر اضطرب مالك في أموال الصدقات وفرّقها، فتوجه إليه خالد بن الوليد وأمر ضرار بن الأزور فقتله سنة 12 هـ. الواقدي ،الردة ،70

(26) الواقدي ،الردة ، 29

(27) اليعقوبي،التاريخ،133/2

(28) قام البطريك بنيامين بتسليم الاسكندرية الى العرب مقابل ارجاع كنائسهم من الخلقدونيين ،عيتاني، المغلوبين ،114

(29) خلف ، الرواية السريانية ،38

(30) ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة،299/20

(31) الواقدي ، فتوح الشام ،328-327/2

(32) ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة،299/20

(33) معركة الجسر وقعت في 23 شعبان 13 هـ، بين جيش الراشدين بقيادة أبو عبيد بن مسعود الثقفي والقوات الفارسية. ضمن عمليات فتح العراق انهزم بها المسلمون و قضت علي نصف الجيش، بعد مقتل قائدهم سميت معركة الجسر نسبة الى جسر يقع على رافد النيل في العراق للمزيد ينظر،الطبري،الرسل والملوك،402-476

(34) الطبري ،الرسل والملوك،125/4؛ الدينوري، الاخبار الطوال،134/1

(35) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،393/2

(36) النعمان بن مقرّن أبو حكيم، صاحب رسول اللّه (ص)، كان إليه لواء قومه يوم فتح مكة، ثم كان أمير الجيش الذين افتتحوا نهاوند، المقريزي ،امتاع الاسماع،371/1

(37) ابن اعثم ،الفتوح ،295/2

(38) ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة،95/9

(39) ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة،296/8

DOI:10.18018/URUK/019-12/884-898

[40] الطبري ، الرسل والملوك،608/3

[41] الطبري ،الرسل والملوك ،104/3

[42] كان سلمان وابي ذر على مقربة خاصة من الامام علي ع انهما الوحيدان اللذين حضرا مراسيم دفن السيدة فاطمة الزهراء (ع) السرية ليلا ، اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي ،115/2

[43] الطبري ،الرسل والملوك، 14/4 ،ابن الاثير ،الكامل،341/2

[44] الاصبهاني ،تاريخ اصبهان،82/1

[45] ابن عساكر، تاريخ دمشق،250/65؛ الذهبي ،تاريخ الاسلام 180/3

[46] 3600 ذراع مربعة " أرضه مفروشة بالذهب وموشى بالفصوص وفيه رسوم ثمار بالجواهر، وورقها بالحرير، وفيه رسوم للماء الجاري بالذهب " وقد بيعت قطعة صغيرة منه ب 20الف درهم، ابن الوردي ،تاريخ ابن الوردي، 138/1

[47] ابن الوردي ،تاريخ ابن الوردي، 138/1

[48] اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي 151/2

[49] البلاذري ،فتوح البلدان، 262/1

[50] اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي،174/2

(51) ابوه هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وامه ام هانئ بنت ابي طالب بن عبد المطلب ابن سعد ،الطبقات،120/8

[52] الرسل والملوك،5/ 64

[53] ابن الاثير ،الكامل،414/2؛اليافعي،مراة الجنان ،72/1

[54] ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،568،628/2، 721

[55] ابن خياط ،تاريخ خليفة ، الذهبي، تاريخ الاسلام 583/3

[56] البلاذري ،فتوح البلدان، 417/1

[57] مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب،140/1؛ البكري، معجم مااستعجم،1097/3؛الحموي ،معجم البلدان 402/4

[58] ابن منظور ،لسان العرب، 103/4 .

قائمة المصادر والمراجع

اولا : الكتب الدينية

- القران الكريم

ثانيا: المصادر الاولية

1.ابن الاثير:ابو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني،(ت630هـ/1233م).،تحقيق عبد السلام تدمري ،الكامل في التاريخ ،دار الكتاب العربي بيروت،1997م .

2.ابن اعثم: ابو محمد احمد الكوفي،(ت314هـ/926م). كتاب الفتوح،،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت- د.ت .

3.ابن حبان، بن معاذ بن مَعْبَدَ،(ت: 354هـ/964م)، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء صحّحه، وعلق عليه السيد عزيز بك ،ط3وجماعة من العلماء،دار الكتب الثقافية، بيروت،1417هـ.

4.ابن أبي الحديد: عز الدين ابي حامد بن عبد الحميد،(ت656هـ/1258م). .شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،ط1،دار احياء الكتب العربية، د.م،1959م .

5.ابن خياط ، أبو عمرو الشيباني (ت: 240هـ/854م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري،ط2 ،دار القلم ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، بيروت،1397هـ.

6.ابن سيد الناس ،محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، اليعمري (ت: 734هـ/1333م)،عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ،تعليق، إبراهيم محمد رمضان ، ط1،دار القلم ، بيروت، 1993م.

7.ابن عبد البر، الحافظ يوسف بن عبد الله النمري،(ت463هـ/1070م) ، الدرر في اختصار المغازي والسير، ط2،تحقيق، شوقي ضيف، دار المعارف ،القاهرة ،1403 هـ.

8.ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن (ت: 571هـ/ 1175م)، تاريخ دمشق تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر ،بيروت ،1995م.

9.ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774هـ/ 1372م) السيرة النبوية من البداية والنهاية لابن كثير تحقيق، مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة لبنان ،1976 م.

10.ابن منظور ،محمد بن مكرم ،(ت: 711هـ/1311م) ،لسان العرب،ط3،دار صادر ، بيروت ،1414 هـ.

11.ابو نعيم الاصبهاني ،أحمد بن عبد الله ،(ت: 430هـ/1038م): تاريخ أصبهان تحقيق، سيد كسروي حسن ،ط1،دار الكتب العلمية ، بيروت،1990م.

12.ابن هشام، عبد الملك الحميري (ت: 213هـ/828م) ،السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق، مصطفى السقا وإبراهيم

DOI:10.18018/URUK/019-12/884-898

الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي،ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،مصر، 1955 م.
13.ابن الوردي،عمر بن مظفر بن عمر،(ت: 749هـ/ 1391م)،تاريخ ابن الوردي،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت، 1996م.
14.البكري ،أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ/ 1093م)،معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع بن محمد البكري الأندلسي عالم الكتب، ط3، بيروت،1403 هـ
15.البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ/ 892 م)،فتوح البلدان ،دار ومكتبة الهلال بيروت، 1988م.
16.البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت: 458هـ/ 1065م) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت، 1405 هـ
17.، البيهقي ،السنن الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا،ط3، دار الكتب العلمية، بيروت ،2003 م
18.الجوهري، ابو بكر احمد بن عبد العزيز (ت:323هـ/ 934م) السقيفة وفدك ، تحقيق محمد هادي الاميني، شركة الكتبي ،بيروت،1413هـ.
19.الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري(ت:282هـ/895م)الأخبار الطوال،ط1،تحقيق، عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي القاهرة،1960م.
20.الذهبي، شمس الدين أبو عبد (ت: 748هـ/ 1347م)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام،ط1،تحقيق، بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي،بيروت،2003م.
21.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ/ 1505م) ،الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت .
22.الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (ت: 942هـ/ 1535م) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد،ط1، تحقيق وتعليق، عادل أحمد ، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت ، 1993م.
23.الشيخ الصدوق، ابو جعفر محمد بن بابويه القمي،(ت381هـ/991م) الخصال، تحقيق علي اكبر غفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية(قم- د.ت).
24.الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت: 310هـ/ 922م) تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث ، بيروت،1387 هـ
25.فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت: 606هـ/ 1209م)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط3 ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت 1420 هـ .
26.مؤلف مجهول (ت: بعد 372هـ/982م) حدود العالم من المشرق إلى المغرب،ترجمة وتحقيق (عن الفارسية) يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1423 هـ
27.محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله (ت: 694هـ/ 1294م)، ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، عالم النشر ،القاهرة ،1356 هـ
28.المقريزي، أحمد بن علي تقي الدين (ت: 845هـ/ 1441م)،إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ط1 ، تحقيق، محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية،بيروت،1999 م.
29.مسلم ، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت، 261هـ/ 874م)، المسند الصحيح ،تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، دت
30.نور الدين، أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (ت: 1044هـ/ 1634م)، السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون او السيرة الحلبية)،ط2 دار الكتب العلمية ، بيروت،1427هـ.
31.الواقدي، الواقدي ،محمد بن عمر بن واقد (ت: 207هـ/ 822م) ،المغازي،ط3، تحقيق، مارسدن جونس ، دار الأعلمي ،بيروت،1989.
32.الواقدي ،فتوح الشام ، ط1 ،دار الكتب العلمية، بيروت،، 1997م.
33.الواقدي ، الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، ط1،تحقيق،يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1990 م.

DOI:10.18018/URUK/019-12/884-898

34.اليافعي ،أبو محمد عفيف بن سليمان (ت: 768هـ/ 1366م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط1،وضع حواشيه،خليل المنصور ،دار الكتب العلمية، بيروت ،1997 م.

35.ياقوت الحموي ،شهاب الدين أبو عبد الله (ت: 626هـ/ 1228م) ،معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت ، 1995 م.

36.اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب (284هـ/897م).تاريخ اليعقوبي، الناشر مؤسسة ونشر اصحاب اهل البيت، دار صادر. بيروت-د.ت .

المراجع العربية :

1. خلف ،تيسير، الرواية السريانية للفتوحات الاسلامية،ط1،دار التكوين، دمشق-بيروت ،2016 م.
2. عيتاني ،حسام ،الفتوحات الاسلامية في رواية المغلوبين ،ط1،دار الساقي، بيروت- 2011.

this policy with minimal casualties, and to prevent a counter-attack in case of defeat, to maintain the Muslims' conquers to apply Islamic ethical jihad and not drifting after greed .

This study scooped the impressive creativity and mental planning and ability of Analytical psychological description of imam Ali which admitted by Caliph Umar, and guided him made him give the position of command of Madinah to Imam Ali when he left for Jerusalem ,this is most difficult part of his attitude to gain full confidence of due to previous consequences in case of (***Saqeefa***) which splint Islamic opinion into two parties one is the party of Abu Backer and Omar and the second is the party of Imam Ali in case of caliphate selection, this research concluded that Imam Ali was not a believer in the theory of holy war to spread Islam forcibly, but the developments of events gave him the role of the first consultant in these battles not for glory or reward but for *Islamic ethical and humanitarian considerations* related to the fate of thousands of human souls among Muslims and people of invaded opened territories his critical role had been covered intentionally as imam Ali Admitted himself as well as adopting the policy of equitable distribution of wealth and limiting the emergence of feudalism in Islam by keeping agricultural lands under the control of the caliphate.

Abstract

This research shed the light upon the attitude of **Imam Ali bin Abi Talib** to the Islamic conquests (*Alfetohat*) the battles of Muslims after the death of the Prophet Muhammed and conquests in territories were rolled by Sassanid and byzantine, after full revision of Imam's ALI ideological and historical heritage basically the texts derived from the book of(Nahj al-Balaghah) ,we believed that he played major role to settle the uprising conflict and expansion power of *moral* caliphate after prophet's death as ***equalizer*** due to his position in wisdom to maintain the ethical principles of Islam parallel with new warfare policy of caliphate and preserve the identity of the Prophet's Massage, by advice as consultant and participation his close friends to maintain